الطبائع والامزجة

بين الرجل والمرأة

للمرحوم مصطفى الشهابي

مدير املاك الدولة بدمشق وعضو المجمع العلمي العربي

﴿ الطبائع والامزجة لدى الرجل والمرأة ﴾ يقولون ان النفس ليس فيها ذكر وانثى. وهذا صحيح لو كانت هذه النفس طليقة في غير جسد . فاما وحياتنا الجسدية هي من اكبر الدعائم التي تبنى عليها محاكمات الطبائع والامزجة فلا بد من وجود فوارق بين الجنسين في طبيعة كل منهما ومزاجه . واذا درسنا هذا الموضوع وجب التجرد عن العواطف التي تجعل بعضنا يميل الى المرأة وبعضنا يصدف عنها . فالمرأة ليست كما ينظر اليها بعض اصحاب الدين المتعصبين المتورعين اي مخلوقاً دنيئاً هو سبب الخطيئة الابدية وهو باب جهنم وزبانيا العُقربان وطريق الرذيلة ودودة القلب البشري الخ . كما انها ليست كما يصفها بعضهم بمثل مرآة العدل وباب السماء ومعقل الحكمة والاناء المصطفى وغير ذلك من النعوت . ولا يجوز ان نجزم مع بعض علماء الانسان ان القوة العضلية ووزن الدماغ لهما التأثير الاكبر في تفريق امزجة الجنسين بل هنالك عوامل اخرى كثيرة يجب عدم اهمالها . فوزن الجثة وقياس الجمجمة وتقدير القوة العضلية لا تكفي وحدها للتفريق بين مزاجي الرجل والمرأة وقواها الخلقية والعقلية لأن الروح لا توزن بالرطل والكيلو غرام . والدليل على ذلك ان من اصغر الجماجم المعروفة جمجمة فولتير الشهير

مازح الرجل يحكم لنفسه بالرجحان على المرأة . وهذا لا يستغرب عند ما كانت القوة المادية هي القوة العميا . ولطالما قال العلماء والفلاسفة الاقدمون ان المرأة ليست سوى رجل لم يتم نموه ولم يكمل . وظل هذا الرأي سائداً الى يومنا هذا فقد قال داروين في نظرية الانتخاب الجنسي ان في الذكر رجحاناً . وزعم سبنسر ان نمو المرأة وقف باكراً بسبب الحاجة الى الحمل والولادة والرضاع . فالرجل لدى داروين امرأة تمّ نموها . والمرأة لدى سبنسر رجل كف عن النمو . وقال عالم ثالث اسمهُ ولبو Valpeau ان الانثى انحطت عن ذكر قديم

وكل هذه الآراء تُعدُّ اليوم خطأً لا صحة له . وقد ثبت ان في النطفة الذكرية والانثوية مقادير قيمتها واحدة وان الجنين فيه كميات متساوية من مادتي الاب والأم

واول فرق حقيقي بين الذكر والانثى يكون في فجر الحياة الحيوانية والنباتية . فهنالك نرى خلية صغيرة فعالة هزيلة غير كاملة لا يمكنها النمو وحدها وهي الخلية الذكرية . ونرى خلية

اخرى غضاء مختلفة غذاء قليلة الحركة ناقصة كالاولى وهي الخلية الانثوية . ومن المعلوم ان الجنين يحصل من اتحادهما . فالفرق بين الجنسين كما ترى هو في الاساس اي في خلايا يزيد فيها التمثيل على الافراز او الادخار على الاستهلاك وهي الخلايا الانثوية واخرى على العكس من ذلك وهي الخلايا الذكرية والغذاء هو من اكبر الاسباب التي تدعو الى تكوّن الذكر او الانثى. والانثى ليست اذن جنيناً وقف نموه بل هي بالعكس جنين تغذى غذاءً كبيراً وذلك في كثير من الاحيان . والادلة على ذلك كثيرة منها تجارب (يولف) في الضفدعيات اذ توصل بالغذاء الجيد ان يزيد عدد إناثها حتى بلغت ٩٢في المائة بدلاً من ٥٦ في المائة .وقد جُربت تجارب عديدة كهذه في الضأن والنحل وحشرات شتى فاسفرت كلها عن نتيجة واحدة وهي ازدياد الاناث بتجويد اغذية الصغار قبل انفرادها في الجنس والعكس بالعكس. وخلية الانثى تكون بطبيعتها ميالة الى السكون والاناة وعدم التجزئة على عكس الخلية الذكرية ففي طبيعتها ميل الى الحركة والتنقيب والبحث . فطبع الخلية الانثوية كطبع الانثى نفسها اذ تتطلب الحياة الساكنة في مكان هادىء جعلتهُ الطبيعة بيئة لنمو الاولاد وعشا لحياة الصغار

واذا ما انتقلنا من الخلايا او النُطف الى الحيوانات النامية نجد الشيء نفسه اي نجد ان الذكور اكثر فعالية من الاناث وان حرارتهم اشد وانهم اسرع الى الاضمحلال. وفي مختلف اجناس الحيوان امثلة كثيرة على ذلك . ونجد في الحيوانات العليا وخصوصاً في الانسان فروقاً عظيمة بين الجنسين . فالمرأة في استدارة نسجها وقلة الفعالية في خلاياها ونمو صدرها وحقويها مثال للكائن الذي زاد فيه التمثيل على الافراز والذي أُعد لتغذية الجنسين والتناسل. ونجد نموًّا في اجزاء الجهاز العصبي المتسلطة على حاسة المرأة اما في الرجل فنجد ان اجزاء الجهاز المتسلطة على الاعمال العضلية والعقلية هي الاكبر نموًّا

﴿ الحس لدى الرجل ولدى المرأة ﴾ تختلف الامزجة في الذكر والانثى على رأي «الفرد فويه» بحسب اختلاف تركيبهما الفسيولوجي لا بحسب الصدفة المنبعثة عن الانتخاب الطبيعي أو الجنسي. اما عمل هذا الانتخاب فهو انه يزيد التوارق بينهما مع الزمن فيكون سبباً منضمًّا الى الاسباب الفسيولوجية المذكورة

فالفعالية الخارجية المنبعثة عن قوة جسدية تستلزم في الرجال وجود الشجاعة الروحية ويفسر داروين وسبنسر شجاعة الذكور بأنهم ما برحوا يقاتلون للقوت وللحب لذا تغلب الشجعان وخلدوا الشجاعة في جنسهم . لكن الفرد فويه يتساءل لماذا يقاتل الذكور دون الاناث ولماذا أختص كل بوظيفته ولا سيما في شئون الحب . وهذا يضيف ان السبب هو في تكوين الذكر وتكوين الانثى . فالذكر له شجاعة تتمثل في الخارج اي في الاعتداء اما الانثى فلها شجاعة على تحمُّل آلام الحمل وعلى الاحتفاظ بصغارها تفوق شجاعة الرجل . وشجاعتها ثابتة

فهي صبور ساكنة تسير نحو هدفها بتؤدة وبلا انقطاع . اما الرجل فمسخّاب قليل الصبر . وكل ذلك في دمه وفي دمها على رأي «الفرد فويه» لا بتأثير الانتخاب الطبيعي

والمرأة اثبت في عواطفها وحبها من الرجل والسبب واحد اي ما ذكر . وهي ابعد عن عاطفة الانانية منه لان الذكر في تركيبه ميّال الى الانفراد على عكس الانثى فهي ميالة في تركيبها الى التضامن . ولما كان الذكر اكثر حركة واشد مضاء واعم تجارب واقرب من الآراء المتضاربة والافكار المختلفة من الانثى وكان كل ذلك يتطلب اتفاق قوة دماغية وقوة عضلية كبيرتين لذلك صار دماغ الذكور اكبر من دماغ الاناث . لكن هذه تفوق الذكور بدقة الحاكة وبالنظرات الثاقبة وباساليب الحيل . ولما كانت وظيفتها الانتظار والملاحظة والتنبؤ دقّ دماغها داخليًّا . وترى هذه الطباع متجلية في الحيوانات العليا اي في الرجل والمرأة . فالمرأة طابعها الحس ولها مزاج الحسّاس . اما الرجل فطابعه الحركة وله مزاج المقدام . ويكثر في الرجال الحساسون السريعو الحركة وهم الدمويون . اما في النساء فتكثر الحساسات العميقات الحس وهنّ العصبيات . ويكثر لديهم الفعالون السريعو العمل وهم الصفراويون كما يكثر لديهنّ الفعالات البطيئات العمل وهنّ صاحبات الدم البارد أو صاحبات البلغم . والمرأة أقوى عاطفة واشد تأثراً وحسًّا من الرجل . وهي اعرف منه بشدة الالم وانواعه . لكنّ ألمها لا ينفجر كألمه ولا يحملها على اتيان اعمال اليأس المريعة بل يظل هذا الألم كامناً في اعماق نفسها . ويتجلى فرط حسها في الحب . فالحب لدى الرجل سرور الحياة اما لديها فالحب هو الحياة . وعلاقات الحب بينها وبين الرجل تكون لديها اهدأ واسمى واثبت وأقل شهوة منها لدى الرجل . وهذا ناتج عن تركيبها ومزاجها . وهو يكون في الأعم من الحالات . لكنه من البديهي ان يكون لكل قاعدة شواذ تستلزم اتهام المرأة بالتقلب والخفة على حد قول المتنبي

اذا غدرت حسناء وفت بعهدها فمن عهدها ان لا يدوم لها عهد

ومع هذا لا شك ان خفتها تنسب عن اعمال الرجل في كثير من الاحيان فيكون اللوم عليه . ويقابل حب المرأة لرجل اثبت ما فيه من صفات اساسية جسمانية كانت أم روحانية . وهي اجمالاً اقل تطلباً لجمالها منها لقوته الجسدية والعقلية وبخاصة لمزاياه الخلقية . ويظن الفريد فويه ان الشعور بلزوم اداة نافعة وثابتة للأسرة والنوع هو ما يفسر احترام المرأة الجاهلة لقوة الرجل الجسدية واحترام المرأة المتعلمة لقوته العقلية والخلقية . وميلها الى الحياة الداخلية الهادئة يجعلها تخضع لقوة الرجل المعد للتنازع خارجيًّا ، كما ان غريزة الامومة فيها تجعلها تدرك الفائدة التي يستفيد منها الاولاد اذا كان لهم ابوان قويّان جسماً وعقلاً

وهي ميالة الى ارضاء الرجل ولها ذوق دقيق في التجمل لهذا الغرض بل هي آية عند ما تُصنّع نفسها وتُبرّقها . ولا شك ان قانون الانتخاب يجعل اعلمهنّ بهذه الامور اقدرهنّ على

العيش لكن هذه الغريزة في المرأة منبعثة عن انها ضعيفة الجسم لا تتطلب الرجل بل هو يطلبها ولذلك لا بدَّ لها من ارضائه . ثم من البديهي ان يكون في كل حي غريزة الاحتفاظ بمزاياه الطبيعية وتنميتها . فالمرأة تعرف ان من اكبر مزاياها الجمال والتجمل فكيف لا تتشبث بهما مع علمها بأنهما مدعاة الى حب الرجل لها . فيستنتج من ذلك ان من مزايا المرأة الاساسية حب الجمال الشخصي اي عبادة الجمال في شخصها وهي مزية وراثية ثمينة يجب الاحتفاظ بها للنوع الانساني . وفي حياء المرأة وخفرها جمال وجلال ، لان شعورها باحترام نفسها ماديًّا وتعلقها بالخيال السامي وبالمثل الاعلى تجاه الحقائق المادية الدنيئة كل ذلك يجعل حبها شريفاً ساميًا ويحدو بالرجل الى مشاركتها بالترفع عن الحب المادي أو بعدم الاقتصار على هذا النوع من الحب على الاقل

أما تعلق الامهات بأولادهن فأسبابه على رأي سبنسر جميعهنَّ للضعف . وهذا ما لا يقرُّه الفرد فويه فهو يرى ان حب الآباء والامهات للاولاد هو اولاً حب ذاك الذي سيكون امتداداً لشخصيتهم وخلقاً لها ثانياً حب ذاك الذي يمثل النوع ثالثاً حب الذي سيكون عن قريب رجلاً . ويكون حب الام للولد اعمق من حب الاب لانها حملته وغذته من دمها ثم من لبنها فهي اشد رؤية لنفسها فيه . أما شوبنهور فيرى ان عناية النساء بالاطفال سببها كونهنَّ وضيعات العنصر محدودات العقل يلبثن كل حياتهنَّ اولاداً كباراً . وهذا ما يهزأ به الفرد فويه اذ يقول ان الأم اذا تعهدت طفلها وكانت احسن من يتعهده فلأنها امٌّ تحب وتضحي لا لأنها ولد . وتدل الاحصاءات على كثرة الاولاد الذين يموتون بسبب تعهدهم من قبل غير امهاتهم . ذلك ان الامهات وحدهنَّ هنَّ اللواتي يعرفن نسيان شخصيتهنَّ فالاخلاص لسيدهنَّ ليس طبيعة ثانية بل الطبيعة الاولى . والأم لا تتعهد الطفل تعهُّداً ماديًّا فحسب بل هي الوحيدة الصالحة لتربيته عقليًّا وأخلاقيًّا . فكلامها وعملها هما اصلح درس له في سنه التي تسود فيها غريزة التقليد . وكان (كانت) يردد في شيخوخته ان امه هي التي اوجدت في نفسه ما ربما كان فيها من ميل الى الخير . اما تشبيه المرأة بالولد (وهو شيء يردده الكتاب كثيراً) فهو غلط لا يقره علم الحياة ولا علم النفس . ولا شك ان صائك صفات مشتركة بين المرأة والولد وهي زيادة التمثيل وفرط الحس في كليهما لكن هذه الصفات تبدو فيهما على اشكال مختلفة . ففرط التمثيل لدى الولد يُستخدم في نموه المادي والعقلي ولذا تراه يحب الأسرة والأنانية . اما المرأة فعلى العكس من ذلك فان عواطفها تميل إلى الغير وهي تستخدم قوى التمثيل لفائدة الأسرة والنوع . ثم اذا كان الحس في المرأة يفوق العمل كما في الولد . فالفرق بينهما بيّن ايضاً . فمشاعر الولد الضعيفة البسيطة تجعل حسه سطحيًّا وتجعله هو سريع الانفعال . اما المرأة فمشاعرها مستقيمة مختلفة . وقلب المرأة قد نما وتكامل اما قلب الولد ففي حالة جنين

وقد طعن بعض العلماء المرأة في اهم صفاتها كحب الولد وحب الزوج فقال الدكتور غوستاف لوبون ان حب الولد لدى بعض الحيوانات اعظم من حبها لوالدها . فهنالك حيوانات اذا فقدت اولادها ماتت على اثرها وهنالك طيور اذا فقدت أنثاها اليفها قتلها الحزن عليه. ويستنتج بعض العلماء من ذلك ان المرأة تمثل في ذلك احطّ شكل من تطور البشر. قال الفرد فويه ان الامر على العكس مما ذكر اي ان حب النسل لدى الحيوانات يمثل شكلاً سامياً من التطور . فاذا وجد هذا الحب منذ ما وجدت الامهات فهل يجب أن يدعو ذلك الى تجاهل قيمته وجماله . ولنقارن ذلك بما لدى الرجل من صفات يفوق المرأة بها كالقوة المادية مثلاً فهلاّ نرى انها ترجع هي ايضاً الى طبقات التطور الدنيا . أفلا ترجع شجاعة الرجل الى حقبة ما قبل الطوفان ثم اليس الوحشي اشجع منا وكذا الاسد فهل يجب لذلك السبب ان نطعن بالشجاعة وبالقوة الجسدية . وقال هل النهار يمثل الشفق (النور الضئيل) أم الشفق يدل على النهار

﴿ التفكير لدى الرجل والمرأة ﴾ — اذا فاقت المرأة الرجل بالشعور والحس فهو يفوقها بالتفكير أو ببعض نواحيه لأن قوى المرأة منصرفة الى حياة النوع ولهذا قلّ فيها نمو ما يلزم للحياة الفردية من قوى عضلية أو دماغية . فترى اعضاءها الصالحة للاعمال الخارجية وأوعيتها الصدرية كلها اصغر من مثلها لدى الرجل . وكما صغرت هذه الاعضاء الصالحة للحركة فقد صغر ايضاً الدماغ الذي يحركها . فجمجمة الرجل اكثر شبهاً بجمجمة الفرد والوحشي والهرم اما جمجمة المرأة فكجمجمة الولد . لكن حجم الجمجمة ووزنها ليسا كل شيء فهما اولاً متناسبان مع حجم الجسم ووزنه . وهما ثانياً يدلان على صفات هذا الجهد . وهذه الصفات تابعة لتلافيف الدماغ ولامور كيماوية وكهربائية لم ندركها بعد ، ولا شك ان دماغ المرأة في يومنا هذا (على رأي كثير من العلماء) اقل مقدرة على الجهود العقلية العظيمة المتمادية من دماغ الرجل لكن ذلك لا يضير المرأة ما دامت وظيفتها في الاسرة تتطلب نمو الحياة القلبية والقوى الخلقية بدلاً من نمو الحياة العقلية والقوى الدماغية. واذا اسهبنا في ذلك قليلاً نقول ان مقدار المجهود العقلي ومدة دوامه هما لدى الرجل اكبر منهما لدى المرأة اجمالاً اي انه يفوقها بمقدار التفكير. اما من حيث صفات المجهود العقلية فان كل شيء يتطلب الحذاقة والدقة والذوق اي كل شيء يلزمه حسٌّ مفاجيء فالمرأة فيه ارجح من الرجل . اما ما يتطلب التجديد في التفكير والاختراع والجرأة والاقدام والمثابرة فالرجل فيه صاحب الرجحان على المرأة . وهنالك جهود عقلية تحتاج الى اجهاد الدماغ والى حصول حركة قوية في ذراته كالمقابلة في العلم والتعميم واستخراج القواعد المطلقة والاستنتاج الفكري فهي كلها مما يوافق الرجل خاصةً بحسب طبيعته . والمرأة اقدر على تصور الافكار الخاصة منها على التعميم والاطلاق . وهي انفذ بصراً منه لكنه اكثر استنتاجاً منها . والمرأة الحاذقة الصناع

تعرف ان تريك كيف تصنع لكنها قليلاً ما تتمكن من وصف عملها أو إتيانه . وهي اجمالاً قادرة على التحليل العلمي كالرجل لكن هذه الصنعة ليست مما تراح له طبيعيًّا . والافكار والصور في حافظتها اثبت منها في حافظة الرجل لان قابلية الانفعال والتخيل فيها تجعل ذاكرتها اشد حفظاً للوقائع ولا سيما التي تسر بترديدها على الناس . وهي (لاسباب أخرى مماثلة) أطوع من الرجل في تلقي المعارف وابسط منه في تصديق الذين تثق بهم . ولها تصورات محتدمة وثابة لانه بقدر ما تقل الجهود الخارجية في الانسان تكثر الصور الداخلية في مخيلته . ولما كانت المرأة صاحبة حس وتصورات رأيتها كثيراً ما تنقاد للعواطف بدلاً من الافكار العامة المطلقة . لان دلائل القلب لديها اقوى من دلائل العقل

والعبقرية تستلزم بذل قوى كبيرة ويجب ان يكون في العبقري ارادة متينة وحسارة خارقة ربما ادّت به الى اسوأ الحالات احياناً . ولهذا كان معظم العباقرة من الرجال . ومهما اجهدت المرأة دماغها ومهما كانت قوتها على التفكير عظيمة فان في طبيعتها تردداً وحشمةً وجبناً تنهاها عن الاقدام على عظائم الامور

وفي باب العلوم ايضاً لا تكون الاختراعات العظيمة (وهي ثمرة الجهود الجبارة) من الامور التي تميل اليها النساء طبيعيًّا . والمرأة قليلة الجلد على تحمل بطء التحليلات العلمية وما تستلزمه من التجويد في استخراج النتائج ووضع القواعد العلمية المطلقة . وكثيراً ما تغلط في استنتاجاتها العلمية بسبب الافراط في تصوراتها وبسبب بساطة افكارها . وقد يحتاج تقدم العلوم إلى تركيب النظار (نظريات) واسعة تعقب التحليلات العلمية وتكون تتمة لها . فهذا التركيب الذي يتناول آفاقاً عديدة هو مما يختص به الرجل اكثر من المرأة . ويجب ان لا يستنتج من ذلك كله انه ليس لدى النساء عبقريات أو انه ليس بوسعهن تعلم العلوم المختلفة . فالذي نشير اليه هو ان النابغات في هذا العدد أقل من النبغاء دائماً . وكما انه يمكن ايجاد نساء ملاكمات كذلك يمكن ايجاد رجال يعطفون على اولادهم في القحط حتى تدر ثديوتهم اللبن . لكن هذه أمور استثنائية غير طبيعية . فالمجهود العقلي الطبيعي لدى النساء هو الذي يجوز ان يوجد في اوساطهن ولا يضر بولادة العدد المرغوب فيه من الأولاد الاصحاء وارضاعهم وتربيتهم . أما إذا صرف نساء طبقة ما من طبقات الشعب جهوداً عقلية عظيمة حتى أدى ذلك إلى ضياع هذه الطبقة فتكون هذه الجهود ضربة تصيب وظائف المرأة الطبيعية في صميمها . ومما لا ريب فيه إن العباقرة من الرجال هم أيضاً قليلو العدد وهم يعدون شواذ إذا قيسوا بالمجموع لكن وظيفة الرجل وأعماله في الحياة الاجتماعية ان لم تتطلب منه ان يكون عبقريًّا فهي تستلزم ان يكون لديه قوة على التفكير وجلد على العلوم مما ليس ضروريًّا للمرأة بل ربما كان مضرًّا بوظائفها الاساسية احياناً . فالمرأة لم تخلق لان تكون عنقاء السيسي في قوته العقلية ولا ابن خلدون

في تفكيره العقلي ولهذا نرى النابغات منهنَّ ينبغنَ في الفنون الدقيقة وفي علم النفس مثلاً ولكن قلما نرى بينهنَّ صاحبة اختراع او تجديد او مذهب في العلوم والفنون . ومهما يكن فرجحان المرأة على الرجل يكون بالاخلاق الفاضلة فهي نابغة بالحب والعطف والاخلاص وهذه خير ما تباهي به اذ ما اعتز الرجل بتفوقه العلمي

﴿ الارادة والصفات الخلقية في الرجل والمرأة ﴾ ارادة الرجل اقوى من ارادة المرأة في الجملة . والمرأة في غريزتها ميالة الى هبة نفسها للغير والاخلاص لهم . وذكر سبنسر ان هذا الميل فيها يتناول الافراد فتقطع انهُ كثيراً ما يتعداه للقضايا العامة . ولذا نرى بينهنَّ اللواتي جدنَ بانفسهنَّ في سبيل القضايا الوطنية او الانقلابات الاجتماعية والدينية الكبرى كاللواتي استقبلنَ الموت برزانة في الثورة الفرنسية وفي محاكم التفتيش الرهيبة . ولا شك ان المرأة ترجح الرحمة على العدل في كثير من الاحيان وذلك لفرط احساسها ولانها لا تميل الى صرف ذكائها في التحليلات الفردية الجافة بل تتناول الناس كافة بعطفها وهو توسع غريزة الامومة فيها . ثم بعد هذا نحن لا ندري هل العدل المطلق هو أعلى شيء ام الخير اعدل من العدل

والمرأة أشد تديناً من الرجل إجمالاً . وليس السبب في ذلك خضوعها للقوة دائماً كما يفكر سبنسر بل هو عدم ميلها للشك بمقتضى قلة الارادة فيها . فهي لا تريد الشك بكل ما هو مسلم بهِ دينيًّا وعلميًّا وسياسيًّا . وهي تحب الدين لا خوفاً من قوة الله في الغالب بل حبًّا بخيره وإحسانهِ . ولما كان الحسّ سائداً في المرأة وكان الميل فيها للعلوم اقل منهُ لدى الرجل بسائق الطبيعة والتربية وكانت الاخلاق الفاضلة ولاسيما الاحسان والرأفة من اهم ما تتحلى بهِ أصبح من الطبيعي ان تتنطع فوق هذا العالم عن عدالة حية وحب شامل . ولا بد لنفس كهذه ان تكون متدينة

لكنها ربما افرطت في الاعتقادات الدينية حتى راحت تتبع الخرافات التي يأبى العقل والدين عنها . وهي في هذا تتساوى مع الرجل او تفوقهُ . فكما اننا نجد رجالاً يصمنَ في النهار وينصرفون الى غرامهنَّ في الليل وذوات أزواج يستسهلنَ الفسق ولكنهم لا يسمحنَ للعشاق برؤية شعورهنَّ اعتقاداً بأن ذلك وحده يفسخ عقد الزواج ، كذلك قرأتُ عن اصوص من الرجال يذهبون الى الكنيسة متضرعين إلى الله أن يوفقهم في سرقة البيت الفلاني ولو ادى ذلك إلى قتل صاحبه . وأعرف سيداً يلعب « البوكر » في النادي الكبير بدمشق حتى إذا أذن المؤذن قام فصلى بجانب اللاعبين ثم عاد الى اللعب . فقلت له مرة ماذا تبتغي من الجمع بين الميسر والصلاة في مكان واحد فأجاب أتضرع إلى الله في صلاتي ان يوفقني في لعبي او ليس الله اقدر على ذلك من الحظ الأعمى الذي تتضرعون اليهِ وتستجيرون بهِ . فقلت لكن الله ينهى عن الميسر فكيف تعصاه ثم تطلب منهُ التوفيق في المعصية . فقال هذه امور لا يفهمها امثالكم

ومن البديهي أن خرافات كهذه لا مثل لها في الاسلام ولا في النصرانية وكلاهما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر والامة مندوبة طبيعية للحنان والتجرد عن الشخصية فالتي ترضى بأن تكون أمًّا تكون قد رضيت بأنواع العذاب. ولا يمكن تصور اجتماع الجريمة والامومة في شخص واحد ولذلك تقل الجرائم لدى النساء . وأكثر ما يقدمن عليه منها الاجهاض وقتل الطفل والتسميم وفي هذه الحالات ربما كان الرجل هو الدافع الى هذه الجرائم. أو ربما ساقها اليها شعور الشرف او الحياء .ولكن عجز المرأة اخلاقيًّا وعقليًّا هو الذي يقعدها عن الاجرام كما يدعيه بعض المؤلفين بل السبب صفاتها الطبيعية كالحس والرأفة وحب السلام أضف اليها قلة تعرضها لرذائل في حياتها الخاصة وميلها إلى الجمال وما يستلزمهُ من صفات خلقية تستميل الرجل بها

***

﴿ الخلاصة ﴾ الرجل مساوٍ للمرأة وكلاهما يتمم الثاني . فهو اقوى منها ماديًّا وعقليًّا وهي ارجح منهُ بالاخلاق الفاضلة . ويقولون هو أثمن منها بالكم وهي أثمن منهُ بالكيف . فاحتقار المرأة شيء حقير بذاته . وهل يزدري اللونُ الأحمرُ اللونَ الأخضرَ عند ما يتحدان في الشعاع الأبيض . أو هل يأنف الأوكسيجين من الامتزاج بالهيدروجين في توليد الماء القراح. فاذا كفَّت النساء عن الاخلاص والتفاني في سبيل البيت والأسرة والأولاد سرعان ما نرى مخلوقات بلا اخلاق ونرى الحب قد أصبح شهوانيًّا محضاً والنسل قد عمَّ وانتشرت توابعهُ من إجهاض وقتل أطفال واتقامهم في الطرقات والملاجيء . والمرأة ما برحت ربة الأسرة . وهي ستظل درتها اللامعة ما دامت راضية بان تكون أمًّا . وعليها بان تتعلم العلوم التي لا تنافي امزجتها وحرمة نوعها كما يجب ان تؤهلها تلك العلوم لاتقان الحياة المنزلية خاصةً لانها هنالك زوجة وام ومربية . فعلم الاخلاق والتربية وحفظ الصحة وآداب اللغة والتاريخ والجغرافيا والحقوق المتعارفة والرسم والموسيقى وخلاصة العلوم العملية هي مما يُعد اكثر ملاءمة من غيرها لطبيعة المرأة ولوظائفها السامية في الحياة البشرية . وعلى رجالنا في الشرق العربي ان لا يقيدوا المرأة بقيود ثقيلة الوطأة وان لا يحرموها من نور العلوم اللازمة لقيامها بواجبها الجنسي ، كما ان على المرأة ان لا تتجاهل واجبها وان لا تظن ان العمل بغريزة التجمل والتبرج فيها هو كل ما تطلبهُ منها . فربَّ حسناء كالبدر ما حادثتها فترة حتى اطلقتَ ساقك للريح من فرط جهلها . وربَّ اخت لها تكاد تعد دميمة لكنها تحرك بعلمها وحسن قيامها على وظائفها .وربَّ النساء هي التي تحلت بالهم سجاياهنَّ أي بالحس والشعور والأخلاق الفاضلة يدعمها جمال وتجمل وعلم بأهم شئون هذه الحياة